مستقبل الأمن في ضوء التطورات الدولية الراهنة(الحرب على أوكرانيا)

أ.م. د محمد صلاح محمود

م. جاسم محمد طه

كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

الملخص:

يركز هذا البحث على توجه دول العالم بعد الحرب التي شنّتها روسيا على أوكرانيا في شباط ٢٠٢٢ نحو تعزيز وتكثيف مصالحها الأمنية بقصد تحقيق أهداف الأمن المتبادل من خلال العودة الى تشكيل أو الدخول في مزيد من التحالفات والتكتلات بكل أشكالها السياسية والعسكرية والاقتصادية والأمنية من جهة وعودة تطبيق لعبة ضغوط العقوبات الاقتصادية بشكل فردي أو جماعي من جهة أخرى- حجر الزاوية-لإعادة تحديد مسار العلاقات الدولية الأوروبية - الروسية والأمريكية - الروسية، نتيجة تزايد المخاطر والتهديدات الأمنية التي أصبحت أكثر تعقيداً جرّاء تعرض أوروبا والعالم لتهديدات جدّية تمس الأمن العالمي بكل أشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية والانسانية والبيئية مصدرها القوة الكبرى (روسيا) وما نتج عنها من حدوث أزمة مهاجرين كبيرة صوب دول أوروبا الغربية شكلت خطراً حقيقياً على الأمن والاستقرار في العالم. وهنا كان لابد من الاستعانة بالنظرية الواقعية التي تقدم تفسير علمي(واقعي)عن الأمن وكيفية تحرك الوحدات الدولية واستجابتها لصراعات القوى في البيئات المحيطة بها، وباعتبارها تضفي شرعية العدوان على أوكرانيا بخلاف نظرة الليبرالية للأمن.

الكلمات المفتاحية: الأمن، الحرب الروسية على أوكرانيا، الواقعية، الليبرالية.

Future of Security in Light of Current International Developments (The War on Ukraine)

Mohammed Salah Mahmood

Jassim Mohammed Taha

University Of Mosul/College Of Political Sciences

Abstract:

This research focuses on the orientation of the countries of the world after the war that Russia launched against Ukraine in February 2022 towards strengthening and intensifying their security interests with the aim of achieving mutual security goals by returning to forming or entering into more alliances and blocs in all their political, military, economic and security forms on the one hand and the return of the application of the game The pressures of economic sanctions individually or collectively on the other hand - the cornerstone- to redefine the course of European-Russian and American-Russian international relations, as a result of the increasing security risks and threats that have become more complex due to the exposure of Europe and the world to serious threats to global security in all its political, military, economic and human forms The source of the environment is the major power (Russia), and the resulting crisis of migrants towards Western European countries posed a real threat to security and stability in the world. Here it was necessary to use the realistic theory that provides a scientific (realistic) explanation about security and how international units move and respond to power struggles in the

surrounding environments, and as it legitimizes aggression against Ukraine in contrast to the liberal view of security.

Keywords: security, the Russian war on Ukraine, realism, liberalism.

المقدمة

لم تشهد القارة الأوروبية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ اندلاع حرب عدوانية شاملة كما شهدتها مطلع العام ٢٠٢٢ ، حينما غزت روسيا الاتحادية بعملية عسكرية واسعة النطاق الدولة الجارة من جهة الغرب بهدف تحقيق ما يُعرف بـ "فنلدة" أوكرانيا، والتي تعني (حيادية أوكرانية)، إذ شكّل هذا الهجوم تهديداً واضحاً وكبيراً للأمن الإقليمي والأوروبي بات يُهدّد سيادة الدول الأوروبية سواء تلك المطلة على البحر الأسود أو بحر البلطيق ، وكشف عن التساهل الأميركي والتجاهل الغربي للتمدد العسكري الروسي منذ عام ٢٠٠٨ وأثار العديد من الاشكالات الأمنية الجديدة العسكرية والاقتصادية والانسانية الناتجة عن هذا الهجوم، سيما أن الهجوم الروسي على أوكرانيا غدا يُشكّل تهديداً فعلياً للأمن والاستقرار الدوليين، حتى أصبحت أوروبا الشرقية بفعل مجريات الحرب منطقة جيبولتيكية صراعية خطرة لها انعكاساتها السلبية على العلاقات الدولية بين روسيا من جهة وأوروبا الغربية والولايات المتحدة من جهة أخرى. كما وضعت الحرب مسألة الأمن في العالم أمام اختبار حقيقي يتطلب وضع الصيغ والاجراءات اللازمة لزيادة فـرص الحفـاظ على الأمن والاسـتقرار العالمـي والإقليمـي وتجنب حالة انهيار الأمن بمجمله وانفتاح التوقعات على عدة سيناريوهات لعلّ أخطرها اندلاع حرب كونية.

وقد تم تسليط الضوء من جديد على مسألة الأمن مع وصول (فلاديمير بوتين) للحكم عام ٢٠٠٠، وحينها تصاعد الدور الروسي وجرت عدة محاولات لقلب النظام الدولي الراهن القائم على أحادية القطبية بدأتها روسيا بشن الحرب الجورجية عام٢٠٠٨، وغزو شبه جزيرة القِرم وضمّها اليها عام ٢٠١٤، وأخيراً تصاعد الشعور بحدة التحديات أو التهديدات الأمنية في أعقاب ما شهده العالم من حدوث حرب اقليمية متمثّلة بالغزو العسكري الروسي الكبير لأوكرانيا في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ وما قد يُسفر عنه من اعادة النظر بالترتيبات الأمنية العالمية متمثلة بتأسيس نظام أو

بنية أمنية أوروبية وعالمية مستقبلية تُستبعد منه روسيا وتقوده الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى متمثلة بفرنسا وبريطانيا وألمانيا.

أولاً:- أهمية البحث:

ترجع أهمية موضوع البحث لاعتبار علمي(نظري – أكاديمي) فضلاً عن الأهمية العملية: اذ تعتبر "الحرب على أوكرانيا" من القضايا الهامة المثارة على الساحة الدولية حالياً، وذلك بسبب الغزو العسكري الخارجي من قبل الدولة الكبيرة الجارة روسيا. لذلك تهدف هذه الدراسة الى تحليل و تفسير "الحرب على أوكرانيا" بالإضافة الى أنها باتت تجذب اهتمام كبير من قبل الباحثين والأكاديميين وصانعي القرار من منطلق أنها جزء لا يتجزأ من " النظام أو الصراع الدولي". وتكمن الأهمية العملية في رفد المكتبات بمعلومات عن موضوع الحرب الروسية الاوكرانية وعن واقع ومستقبل الأمن في ظل هذه الحرب من خلال تقديم رؤى مستقبلية عن طريق صياغة مجموعة من السيناريوهات والمشاهد المستقبلية والتعرف على الفرص والكوابح والمعطيات لكل مشهد وأيهما أقرب للتحقق .

ثانيا: المشكلة البحثية:

تتمثّل مشكلة البحث في بيان تأثيرات الحرب الروسية الاوكرانية على مستقبل الأمن في أوروبا والعالم، بعد أن شهد العالم اجتياح عسكري كبير وخطير في آن معاً منذ أواخر شهر شباط ٢٠٢٢ من قبل روسيا الدولة العظمى للأراضي الأوكرانية نظراً لاعتبارها من قبل روسيا قضية أمن قومي ورفضها فكرة انضمام أوكرانيا الى منظمة حلف الناتو ، الأمر الذى قاد الى استجابة قاسية من قبل روسيا (ردة الفعل) واصطفاف القوى الغربية بالمقابل (الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة) الى جانب أوكرانيا. ولغرض بحث الاشكالية المقدمة ، فانّه يتطلّب الإجابة على عدد من الأسئلة الفرعية التي يثيرها البحث:-

١- أيهما الأقرب من تفسير الأمن، النظرية الواقعية أم النظرية الليبرالية؟
٢- ما أسباب الحرب على أوكرانيا؟
٣- ما الغايات التي تسعى أوكرانيا الى تحقيقها من خلال الانضمام إلى حلف الناتو؟
٤- كيف أسهمت الدول الغربية وحلف الناتو في الحرب على أوكرانيا؟

٥- ما أبرز السيناريوهات أو المشاهد المستقبلية التي يُمكن صياغتها والمتعلقة بواقع ومستقبل الأمن في ضوء الحرب على أوكرانيا؟

ثالثاً: فرضية البحث:

يستند البحث على فرضية مفادها أن هناك علاقة طردية بين مفهومي التهديد الأمني من جهة وعدم الاستقرار وتحفيز التحالفات الأمنية والاقتصادية في ميدان العلاقات الدولية من جهة أخرى، اذ أن أي زعزعة أو تهديد للأمن في منطقة جغرافية مهمة من العالم سيفضي الى حالة من عدم الاستقرار والاضطراب الامني، فضلاً عن احتمالية نشوب حرب تتدّخل فيها قوى خارجية دولية هامة، ممّا يُشكّل تحدّياً وتهديداً جديداً للأمن المأزوم أصلاً، ويزيد من تعقّد المعضلة الأمنية ووسائل حلّها أو القدرة على تفادي الآثار السياسية والاقتصادية والبيئية الناجمة عنها، كما ويُفضي ذلك الى نشوء أو تجديد عقد شراكة التحالفات بشكل أقوى وأرسخ في ميدان العلاقات الدولية لتحقيق أهداف أهمّها الأمن.

رابعاً : منهجية البحث

لأغراض البحث تم اعتماد المنهج الاستشرافي في دراسة الحرب الروسية على أوكرانيا وتأثيرها في الأمن، كونه يُعد من المناهج الأساسية للدراسات المستقبلية، فهو يُفيد في طرح رؤية تنبؤيه استشرافية خاصة بمستقبل واحدة من الظواهر ويُقدّم مجموعة من الاحتمالات أو البدائل أو السيناريوهات المستقبلية، كذلك يقوم هذا المنهج على فكرة استقراء الماضي وفهمه ورصد اتجاهات التطور في الماضي وفهم الحاضر من أجل تقديم مجموعة رؤى استشرافية منضبطة. فضلاً عن الاستعانة بالمنهج الوصفي، لفهم ووصف مجريات الأحداث وتطوراتها.

خامساً : الإطار الزماني والمكاني

-الإطار الزماني، تبدأ الحدود الزمنية للبحث في ٢٤ شباط ٢٠٢٢ وهو تاريخ بداية الحرب والتي ما تزال مستمرة حتى الأن، وهي الحرب التي شنتها روسيا على أوكرانيا.

-الإطار المكاني، يتحدد الإطار المكاني للبحث بساحة المعركة الممتدة بالمساحة الجغرافية بين روسيا و أوكرانيا فضلاً عن تداعياتها المستقبلية على الساحة

الجغرافية الأوربية ، وتقع أوكرانيا في قارة أوربا في المنطقة الشرقية، وتتمتع بموقع استراتيجي، اذ تقع على تقاطع الطرق بين قارة أسيا وأوروبا، هذا بالإضافة الى أنها ثاني الدول الأوربية من حيث الكبر في المساحة وتتمتع بموارد مائية من " البحر الأسود وأزوف" وشبكة من الأنهار الدولية منها (الدانوب)كما تمتلك أكثر من ٣ ألاف بحيرة صغيرة ومتوسطة الحجم. ويوجد بها إقليم "القرم" في الجنوب الذي ضمته روسيا في أذار٢٠١٤، كما أن روسيا الدولة المهاجمة تحدها من الشرق.

سادساً : تقسيم البحث:-

نظراً لتناول البحث موضوع الأمن كأحد أهم موضوعات العلاقات الدولية، سنبدأ أولاً بتحديد مفهوم الأمن وفق النظريتين الواقعية والليبرالية في محوره الأول، وفي المحور الثاني للبحث سنتعرّف على أسباب الحرب على أوكرانيا وتطوراتها، أمّا المحور الثالث فسوف يتناول عرض سيناريوهات ثلاث كبدائل محتملة لتطورات الأحداث المصاحبة واللاحقة للحرب.

المحور الأول: مفهوم الأمن (وفق منظور المدرستين الواقعية والليبرالية):

بدايةً، وحتى يُمكن الوقوف على موضوع الحرب الروسية على أوكرانيا لابدَّ أولًا من تحديد مفهوم الأمن وفق النظريتين الواقعية والليبرالية، بالشكل الذي يستوعب التهديد الروسي للأمن كقوة عسكرية ونووية في آن معاً تجاه أوكرانيا وأوروبا والعالم. اذ تم طرح تعريف أكثر شمولية للأمن من قبل (ولفرز) فالأمن بالمعنى الموضوعي يقيس عدم وجود تهديد للقيم المكتسبة ؛ بالمعنى الشخصي يقيس عدم وجود شعور بالهجوم على مثل هذه القيم "[1]، ووفقاً لـ (Barry Buzan) فالأمن هو:" السعي نحو التحرر من التهديدات ، وقدرة الدول والمجتمعات في الحفاظ على هويتهم المستقلة وسلامتهم الوظيفية ضد قوى التغيير التي يرونها

1-Ropafadzo Muzorori,"Comparison of Theoretical Approaches to Security: Realism, Constructivism, and Liberalism", P.1.

https://www.academia.edu/38212529/Comparison_of_Theoretical_Approaches_to_Security

معادية"[٢]. وسوف يتم تفسير الأمن من المنظور الواقعي والليبرالي وأيهما الأقرب في فهم الأمن والتهديدات التي قد تعترضه.

أولاً: الأمن وفق المنظور الواقعي

يرى الواقعيون أن الدول هي مصدر تهديد لأمن الدول الأخرى وأيضاً هي هدف للتهديدات الأمنية، وهكذا، فإن أسباب سلوك الدول موجهة أو مضللة بالطبيعة البشرية والطبيعة الفوضوية المسبقة للنظام الدولي[٣]. ويتبنى معظم الواقعيين وجهة نظر متشائمة وحذرة للعلاقات الدولية، اذ ترتكز النظرية الواقعية التقليدية على فرضية أن الأمن حالة تتنافس الدول على تحقيقها ، كما يرتبط مفهوم الأمن الوطني مباشرة بالدولة[٤]. كما يُفَسَّرْ الأمن عند الواقعيين؛ "بالأمن القومي"، بمعنى أمن الدولة ضد الأخطار والتهديدات الخارجية بحيث لا يمكن ضمان هذا الأمن إلا من خلال امتلاك القوة والسعي لزيادة القدرة العسكرية[٥] . من هنا، فإن المنظور الواقعي للأمن يُركّز على بقاء الدولة الوطنية كمصلحة عليا على حساب مصالح الدول الأخرى، باعتبارها الفاعل المركزي والوحيد في السياسة الدولية، وذلك من خلال حماية حدودها الإقليمية وصيانة سيادتها الوطنية واستقرارها ضد أي تهديد عسكري خارجي، وتُعد القوة العسكرية هي الأداة الرئيسية لتحقيق الأمن[٦].

2- Barry buzan " New Patterns of Global Security In the Twenty – First Century International Affairs 3(1991) p. 432.

3- Ropafadzo Muzorori,op.cit.,P.2.

٤- الموسوعة السياسية، الأمن في العلاقات الدولية، متاح على الرابط الآتي:

https://political-encyclopedia.org/dictionar

٥ - صخري محمد ،المنظور الواقعي للأمن، ١٧-٨-٢٠١٩،متاح على الرابط الآتي:

المنظور- الواقعي-للأمن https://www.politics-dz.com

٦- الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره.

ووفقاً للنظرية الواقعية فهي تنظر للدولة على أنّها الفاعل الدولي الرئيس في العلاقات الدولية، إن لم يكن الوحيد، فالنظام الدولي وفق رؤيتها في حالة فوضى؛ بسبب عدم وجود سلطة دولية مركزية وقيادية، ولذلك يجب على الدول فرادى أن تتولى مسؤولية أمنها وأن تدافع عن مصالحها من خلال اكتساب القوة واستخدامها عندما يتعرض أمنها القومي للتهديد[٧] .

والأمن وفقاً لـ (Walter Lippmann) يأتي مساوٍ للقوة العسكرية ومرادف للحرب" ، كما نظر الواقعيون إلى الأمن باعتباره مشتقاً من القوة، فقد مثّل مفهوم القوة موضوعاً مهماً في الدراسات الواقعية للسياسة الدولية سواء تم النظر اليها كوسيلة أو كمحفز لسلوك الدول أو كنتاج له أو الأثنين معاً، ومهما تكن الأهداف النهائية للسياسة الدولية فالقوة هي دائماً الهدف العاجل كما يرى (Hans Morgenthau)[٨].

فالأمن بهذا المعنى يندرج ضمن اختصاصات الدولة بهدف ترسيخ سيادتها واستقرارها. وعليه يمكن القول أن الواقعية تركز اهتمامها على الدولة باعتبارها عامل مؤثر في السياسة الدولية، وآخذة بفكرة التوازن الدولي المتمثّل بحق الدول في التدخّل ضد أي دولة تسعى الى الاخلال بالوضع الراهن(القائم) حتى تنجح في الحفاظ على السلم والتوازن القائم بين الدول، ويكون بقاء الدول مرهون بالقوة العسكرية[٩].

بينما جاءت الواقعية الجديدة بفكرة أن الدولة لا تعتمد في شؤون أمنها على الآخرين، وفي هذا الإطار يؤكد الواقعيون الجدد على أن فوضوية النظام الدولي

7- Booth, K., "Security in Anarchy: Utopian Realism in Theory and Practice" in International Affairs, Jul1991,Vol.67 Issue3, p.527–545.

٨ – توفيق بوستي، مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية، دراسات استراتيجية ، ٢٢فبراير ٢٠١٩، مجلة المعهد المصري للدراسات ، استنبول– تركيا، ص ٤–٥. منشور على الرابط الآتي:

https://eipss-eg.org/

٩ – حنان مراد، مستقبل الأمن المتوسطي في ظل التحولات الدولية الراهنة، متاح على الرابط الآتي:

https://revuealmanara

تستدرج وحدات النظام الدولي (الدول) إلى انتهاج سلوك الاعتماد على الذات أو المساعدة الذاتية وانطلاقاً من رؤية السياسات الدولية حقلاً للمساعدة الذاتية، فإن(الاكتفاء الذاتي) سيكون هدفاً رئيسياً لكل دولة، والنظام الدولي يحفز كل دولة لتكون قادرة على إدارة شؤونها بنفسها، طالما أنه لا توجد سلطة عليا تتولى هذه الوظيفة[١٠].

كذلك تُشكّك الواقعية الجديدة في إمكانية التعاون على المستوى الأمني باعتبار أن الدول تهتم بالأرباح النسبية للتعاون أكثر من اهتمامها بالأرباح المطلقة، وقد طبّق كينيث والتز مفهوم الفوضى على السياسة الدولية، ومفاده أنه مع وجود دول ذات سيادة، وعدم وجود نظام قانوني يملك السلطة عليهم، فإن الانقياد إلى الحرب يصبح شيئا مؤكداً، وفي حالة الفوضى الدولية لا يوجد انسجام تلقائي بين الدول، فهي على عكس الواقعية التقليدية تربط حالة الصراع بالطبيعة الفوضوية للنظام الدولي الذي يعيق تشكل علاقات تعاونية[١١].

ان الواقعية في صيغتها الهجومية تعتبر الهدف الأساسي لكل وحدة سياسية(الدولة) هو تحقيق الهيمنة في السياسة الدولية من خلال سعيها لامتلاك مزيد من القوة لحماية نفسها، ويؤمن أنصار هذا التيار أن الحروب هي عبارة عن ظواهر طبيعية لأن التعاون الدولي صعب تحقيقه بحكم سعي الدول المنفرد وراء مصالحها[١٢].

ثانياً: الأمن وفق المنظور الليبرالي

إنّ مفهوم الأمن من المنظور الليبرالي يُمثّل الأمن الجماعي والسلام الديمقراطي بخلاف المنظور الواقعي الذي يركز على الأمن القومي، وقد وضع الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت هذا التصور قبل قرنين من الزمن عندما اقترح إنشاء فدرالية تضم كافة دول العالم، بحيث تتكتل غالبية الدول الأعضاء لردع

[١٠] ـ توفيق بوستي، المصدر السابق.

[١١] – توفيق بوستي، المصدر أعلاه.

[١٢] – حنان مراد، المصدر السابق.

ومعاقبة أي دولة تسعى للاعتداء على دولة أخرى، وهو ما أستند عليه الرئيس الأمريكي (وودرو ويلسون) في تصوره لعالم يسوده السلام، والذي بدأ تطبيقه عملياً من خلال دعوته لإنشاء عصبة الأمم في عام ١٩١٩[١٣].

وتنظر الليبرالية إلى الأمن من وجهة نظر متفائلة، فهي تؤمن بالخير الطبيعي للبشرية ، ولهذا السبب يمكن للإنسان أن يتعايش أو يعيش بسلام، وهكذا ، في مواجهة تهديد الأمن، وضع الليبراليون أساليب لإدارة مثل هذه المشاكل الأمنية في النظام الدولي، أولا، الأمن الجماعي ؛ فبدلاً من أن تكون الدول أنانية كما يُصوّرها الواقعيون في التعامل مع القضايا الأمنية، فإن الليبراليين يرون بدلاً من ذلك أن الدول يجب أن تجتمع معاً لمحاربة التهديد لأمن أي منهما في هذه الحالة ، يتعلق الأمر بمفهوم "الواحد للجميع ، والكل للواحد"، يستخدم هذا في الغالب تجاه المعتدي المحتمل، ثانياً، الردع ، وتعني جعل المعتدي على علم باستنكار المجتمع الدولي لأفعاله[١٤].

يضاف الى ذلك أن الليبرالية لا تعتبر مُناهضة للدول، فقد أولت النظرية الليبرالية اهتماماً خاصاً للدولة باعتبارها المؤسسة الوحيدة من خلال قدرتها على جعل الأفراد آمنين ومساعدتهم على قضاء حاجاتهم، فالليبرالية لا تهتم "بأمن الدولة" أو "الأمن القومي" إلا بقدر ما تكون هذه الأمور مفيدة لأمن الأفراد داخل تلك الدول[١٥].

وفي هذا الاطار يُعرّف (أميتاف شاريا) مفهوم التعاون الأمني من خلال توفر ثلاث عناصر هي[١٦]:

١- الشمولية فيما يخص المشاركين وتوسيع الأجندة الأمنية لتشتمل على مصادر تهديد غير تقليدية.

١٣- الموسوعة السياسية، مصدر سبق ذكره.

14- Ropafadzo Muzorori,op,cit.,P.5-6.

15 - John M. Owen, Liberalism and Security, 01 March 2010. https://oxfordre.com/internationalstudies/view/

١٦- توفيق بوستي، المصدر أعلاه .

٢- اعتماد لغة الحوار بين الأطراف المختلفة كآلية لحل النزاعات.
٣- تتطلب معظم قضايا الأمن تحركات أو اقترابات جماعية تعاونية بين الدول.

ووفقاً لـرأي (جوشوا غولدستي) فإن الأمن الجماعي يتمثّل بتشكيل تحالف موسع يضم أغلب الفاعلين الرئيسيين في النظام الدولي بهدف مواجهة أي فاعل آخر يسعى للهيمنة ، وفيما يخص السلام الديمقراطي الذي جاءت به الليبرالية البنيوية، فقد أكّد كل من (مايكل دويل)و(بروس راست)على أن التحليل الأمني يستند الى المتغير الديمقراطي، كون أن انتشار الديمقراطية وترسّخها سواء على مستوى الدول أو بنى النظام الدولي سوف تسهم في تكريس السلام الدائم ويكون التعاون سمة السياسة الدولية، بخلاف حالة الصراع الدائم التي صاغها الواقعيون أو كما عبّر عنها كانت (Kant) بأنّها حالة الوحشية التي ترفض الخضوع لأي قانون[١٧]. كما ترتكز الليبرالية البنيوية على فكرة رئيسية مفادها أن الدول ذات الأنظمة الديمقراطية تكون أكثر ميلاً لاحترام ارادة مواطنيها وأقل ميلاً نحو خوض الحرب مع جيرانها الديمقراطيين، ورُغم أن جوهر الفكرة قديم جداً الاّ أنه أُعيد عرضها من جديد في اطار ما يُعرف بنظرية السلام الديمقراطي[١٨].

المحور الثاني : أسباب الحرب على أوكرانيا وتطوراتها

في فجر يوم ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٢٢ ، شن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بجيشه؛ الذي يُعد ثاني أكبر جيش في العالم؛ غزواً غير مبرر للدولة الجارة أوكرانيا، وانطلاقاً من الجمهوريتين الانفصاليتين (دونيتسك) و(لوهانسك)، مما تسبّب في اندلاع أكبر نزاع مسلح في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. وتمخض عن الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا قيام أكبر أزمة أمنية وإنسانية واقتصادية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية نتيجة موجة النزوح الجماعية للأوكرانيين باتجاه الحدود البولندية بشكل كبير وباقي الدول المحيطة بها.

اذ لعقود من الزمن كان أحد أهم المبادئ الثابتة في دوائر السياسة الخارجية النخبوية أن حرباً واسعة النطاق بين روسيا وأحدى الدول الغربية في أوروبا أمر لا

---

[١٧]– توفيق بوستي، المصدر أعلاه .

[١٨]– توفيق حكيمي، مستقبل التوازن الدولي في ظل الصعود الصيني، اطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، ٢٠١٥ ،ص٦٥.

يمكن تصوره. فقد كُنّا نتخيل أنه تم تعلم الدروس والعبر من نتائج الحرب العالمية الثانية، ولن يتكرر ذلك التاريخ الكارثي في القارة الأوروبية العجوز.

وممّا يؤكد عدم وقوع حرب تُعرّض الأمن مُجدّداً للخطر تقدير الغرب الخاطئ والثقة المفرطة لاستحالة قيام غزو روسي لأوكرانيا ، والذي جاء مستنداً الى أربعة افتراضات رئيسية ، اذ جاء في الافتراض الأول أنّه لطالما بقيت قوات الناتو منتشرة في شرق أوروبا فيمكن ردع التوسع العسكري الروسي في دول أوروبا الشرقية أو الدول التي كانت جزءاً من حلف وارسو وأحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، والافتراض الثاني، أن تكاليف الحرب ستكون باهضه جداً ولا تُحتمل لدرجة أنها ستردع روسيا عن تنفيذ أي خطط عسكرية من هذا القبيل خصوصاً والعالم يعيش حرباً وبائية تُعرف بجائحة كورونا، والافتراض الثالث، انعدام الشك بأن روسيا ستتخلى عن تعهداتها بعدم مهاجمة اوكرانيا وتنتهك مذكرة بودابست عام ١٩٩٤، أمّا الافتراض الرابع والأخير : فأن روسيا بنظر الغرب لا تُمثّل تهديداً أمنياً ذا مصداقية(ادراك التهديد)، فالمعادلة بسيطة، اذ الأوروبيين بحاجة للنفط والغاز الروسيين وهي حقيقة واضحة، وروسيا بالمقابل بحاجة لأموال الأوروبيين وتكنولوجيتهم، وهذا ما حصل فعلاً ممّا عقّد المشكلة وصعّب من فرض عقوبات اقتصادية ومالية تسهم بها جميع الدول الأوروبية. منها النمسا والمجر اللتان أعلنتا رسمياً رفضهما المساهمة في العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا نظراً لحاجتهما الماسة لشراء الغاز مقابل الروبل الروسي، فيما رفضت بولندا وبلغاريا سداد ثمن الغاز بالعملة الروسية[١٩].

أولاً: أسباب الحرب الروسية

مع تفكك الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ نالت أوكرانيا استقلالها في نفس العام كواحدة من بين الجمهوريات السوفيتية الخمسة عشر، وفي عام ١٩٩٤ تم توقيع "مذكرة بودابست" التي تعهّدت روسيا بموجبها باحترام حدود الجارة أوكرانيا ومنحها ضمانات أمنية لقاء تخلي الأخيرة عن ترسانتها النووية الموروثة عن الاتحاد السوفياتي ونقلها الى الأراضي الروسية ، وبذلك تصبح دولة غير حائزة

19- https://akhbarelyom.com/news/newdetails/3746539/1

للأسلحة النووية [٢٠]. وكنا نعتقد أن خلو بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي من الأسلحة النووية سوف يجعل العالم أكثر أمناً، هذا وتعد أوكرانيا أكبر دولة بعد روسيا الاتحادية وتتمتع بمساحة ضخمة بعد تركيا في القارة الأوروبية، لكن سرعان ما فرضت الحسابات الجيبوليتيكية نفسها على شرق أوروبا مع تبنّي حلف الناتو سياسة التمدد العسكري شرقاً ، والذي لاقى رفضاً من روسيا ، اذ حدث تحول مهم عام ١٩٩٩ وهو انضمام ثلاث جمهوريات من دول أوروبا الشرقية التابعة لحلف وارسو المنحل وهي التشيك والمجر وبولندا للناتو، وفي عام ٢٠٠٤ انضمت ٧ دول من شرق أوروبا ثلاثة منها من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة والدول الأربع الأخرى من شرق أوروبا(إستونيا ، لاتفيا، ليتوانيا ، رومانيا ، سلوفاكيا ، بلغاريا ، سلوفينيا)، ثم لحقت بهم بعد ذلك كل من كرواتيا وألبانيا عام ٢٠٠٩، ثم انضمت الجبل الأسود عام ٢٠١٧ ومقدونيا الشمالية عام ٢٠٢٠، ليصبح اجمالي عدد الدول التي انضمت للحلف بين ١٩٩٩ و ٢٠٢٠ بنحو ١٤ دولة، وهي تُشكّل ما يقرب من نصف عدد الدول الأعضاء في الحلف حالياً البالغ عددهم ٣٠ دولة [٢١]. وهكذا فقدت روسيا تدريجياً نفوذها على أجزاء واسعة من أوروبا وبالتالي تأثيرها على العالم. ممّا حفّز روسيا على رفض البقاء وراء الولايات المتحدة بحكم كونها قوة نووية وأكبر دولة في العالم على دفع النفوذ الغربي غربًا ، خرق الولايات المتحدة والغرب مطلب روسيا الواضح وهو ضمان بقاء أوكرانيا منطقة عازلة محايدة تماماً كما طلبت الولايات المتحدة من الاتحاد السوفيتي في السابق سحب صواريخه النووية من حديقته الخلفية (كوبا) في أكتوبر ١٩٦٢[٢٢].

20- DAVID S. YOST, The Budapest Memorandum and Russia's intervention in Ukraine, *International Affairs* 91: 3 (2015),P.505.

21- https://www.nato.int/cps/en/natolive/nato_countries.htm

22- LEV TOPOR , Opinion – Strategic Perspectives on the Russia-Ukraine War,p.1-2, MAR 6 2022.

https://www.e-ir.info/2022/03/06/opinion-strategic-perspectives-on-the-russia-ukraine-war

والمستقبل مرشح لانضمام كل من قبرص والبوسنة والهرسك وكوسوفو وجورجيا وأوكرانيا للحلف [٢٣]. والسويد وفنلندا ، ولم يعد متبقياً من الدول العازلة بين روسيا والناتو سوى بيلاروسيا وأوكرانيا، وحينها أدركت روسيا الاتحادية أن انضمام الدولتين الى الناتو يعني حصار موسكو داخل حدودها[٢٤]. وحينها صرحت الناطقة باسم الخارجية الروسي(ماريا زاخاروفا) بأنَّ على السويد وفنلندا ألا تكونا قاعدة لتقويض أمن دول أخرى، لما لهذا الأمر من تبعات خطيرة على الاستقرار بشمال أوروبا[٢٥]. وفي حزيران/يونيو ٢٠٠٦، كان وزير الخارجية الروسي (سيرجي لافروف) قد حذّر أوكرانيا من الانضمام إلى الناتو واعتبر دخول جورجيا وأوكرانيا للناتو "تحولاً جيوسياسياً هائلاً " بالنسبة لروسيا[٢٦].

وليس من المستغرب أن يحاول بوتين اعاقة التمدّد الشرقي لحلف شمال الأطلسي، اذ أعرب عن مخاوفه الأمنية في خطابه أمام مؤتمر ميونيخ الأمني لعام ٢٠٠٧: " "اتضح أن الناتو قد وضع قواته في الخطوط الأمامية على حدودنا... توسع الناتو يمثل استفزازاً خطيراً يُقلل من مستوى الثقة المتبادلة، وأضاف قائلاً: . . . ضد من يُقصد هذا التوسع؟ ولكن لم يُنظر إلى خطاب بوتين كتحذير ولم يؤخذ في الاعتبار عندما تقدم الغرب أكثر، وتفاقمت المشكلة مع انعقاد قمة الناتو في بوخارست بشهر نيسان ٢٠٠٨، عندما خاطب بوتين الغرب محذّراً: "نحن نرى

23- Andreas M. Bock, Ingo Henneberg and Friedrich Plank, "If you compress the spring, it will snap back hard": The Ukrainian crisis and the balance of threat theory , International journal (Toronto, Ont.) · March 2015,P.4.

٢٤- عصام عبد الشافي، ما بعد أوكرانيا (مسارات التحول في النظام الدولي) محاضرة ألقاها في المعهد المصري للدراسات السياسية، اسطنبول- تركيا، ٢٠٢٢/٤/١٢، متاح على الرابط الآتي:

https://www.youtube.com/watch?v=HeixJfpZbAk

٢٥ - موسكو: انضمام السويد وفنلندا إلى الناتو يهدد الاستقرار في شمال أوروبا، ٢٠٢٢/٤/١٥، متاح على الرابط الآتي: arabic.rt.com ›world› 1344687-

26- ANDREW T. WOLFF, The future of NATO enlargement after the Ukraine crisis, *International Affairs* 91: 5 (2015), P.1109.

ظهور كتلة عسكرية قوية على حدودنا... كتهديد مباشر ووجودي لأمن بلدنا"[٢٧]. وجاء ذلك التحذير عندما أصدر الحلف بياناً قال فيه أن أوكرانيا وجورجيا ستصبحان جزءاً من الناتو، وكان هذا، من وجهة النظر الروسية، بمثابة اعلان حرب ممتدة بين روسيا والغرب ، ونتيجة فشل كل جهود الحوار الدبلوماسي ورفض الولايات المتحدة ودول الحلف في تقديم أية تنازلات وضمانات أمنية لروسيا لم يتبقى أمام روسيا سوى التحرك العسكري لمنع انضمام هاتين الجمهوريتين للحلف، وكانت البداية هي الحرب الروسية-الجورجية عام ٢٠٠٨، وقيام روسيا بضم اقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبي، ثم الحرب الروسية– الأوكرانية عام ٢٠١٤ ، وقيام روسيا بإعلان ضم شبة جزيرة القرم الأوكرانية[٢٨] .

وفيما يخص حلف الناتو، فدول الحلف والولايات المتحدة تؤيدان فكرة انضمام أوكرانيا إلى الحلف، بل عملت على وضع استراتيجية لضمها، ومنذ عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ أعلنوا رغبتهم الرسمية في ضم كلاً من "جورجيا وأوكرانيا" الى الحلف، لكن في نفس الوقت تعمل الولايات المتحدة على طمأنة روسيا أن الحلف لن يمس أمنها القومي، وأن الهدف الأساسي لها هو حماية الحلفاء الأوروبيين من التهديد الإيراني وكوريا الشمالية، لكن في نفس الوقت يعمل "الناتو" على توفير الحماية لأوكرانيا عن طريق تزويدها بالأسلحة الثقيلة إن أمكن، تحسباً لأي عدوان روسي عليها، أما عن روسيا فهي ترى أن أي خطوة توسعية من قبل الناتو ما هي إلاّ تهديد مباشر لها، سواء من بناء قاعدة صاروخية في أوربا أو دعم أوكرانيا. فقضية انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو، قضية مصيرية بالنسبة لروسيا ولأمنها القومي، فروسيا لن تسمح أبداً بذلك بسبب الجوار الجغرافي بينهما وهي تنظر إلى قضية "الناتو" كامتداد" للحرب الباردة" مع الولايات المتحدة عندما كانت أوكرانيا في ذلك الوقت تحت راية "الاتحاد السوفيتي" [٢٩].

27–Idem.

٢٨ – عصام عبد الشافي، المصدر السابق.

٢٩ – **ايمان أشرف أحمد محمد شلبي**، الأبعاد الدولية للأزمة الاوكرانية، ١٦ يناير ٢٠١٦، متاح على الرابط الآتي: https://democraticac.de/?p=25929

وفي عام ٢٠٠٩ جرت مقابلة مع الرئيس السوفياتي السابق (ميخائيل غورباتشوف) ذكر فيها "أنّ ألمانيا الغربية والولايات المتحدة وقوى أخرى تعهدت - بعد إعادة توحيد ألمانيا في عام ١٩٩٠ - بأن "الناتو لن يتحرك سنتيمترًا واحدًا باتجاه الشرق"، ولكن ما حصل جاء خلاف للتعهدات الغربية والأمريكية ،ممّا جعل من حلف الناتو مصدر قلق أمني خطير لروسيا الاتحادية نتيجة التوسع الشرقي لحلف الشمال الأطلسي منذ عشية توحيد ألمانيا، وطيلة تلك السنوات وروسيا تراقب التوسع الشرقي للحلف ويتجاهل الغرب بشكل شبه تام المصالح والشكاوى الروسية(٣٠).

وفي أعقاب ضم روسيا شبه جزيرة القرم في أذار ٢٠١٤ بأيام جرت مقابلة متلفزة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أكد فيها: "لقد تلقينا وعوداً أنه بعد توحيد ألمانيا، لن ينتشر الناتو شرقاً. ثم أخبرنا الأمين العام لحلف الناتو أن الحلف لن يتوسع إلى ما بعد الحدود الشرقية"(٣١).

ورداً على ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، تسارعت معدلات التعاون العسكري والأمني بين الولايات المتحدة وأوكرانيا، فقد أكّد الجيش الأمريكي أن قيمة المساعدات التي تم تخصيصها إلى أوكرانيا منذ عام ٢٠١٤ تُقدّر بقيمة ٥,٤ مليارات دولار من الولايات المتحدة، مُوضحاً أنها تشمل مساعدات أمنية وغير أمنية(٣٢).

ومّما زاد من حدة التهديدات الروسية اعلان أوكرانيا عن انهاء استعداداتها وازالة كافة العقبات التي قد تعترضها بهدف الانضمام إلى المؤسستين الدوليتين وهما: الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، فقد أنشأت مؤسسات شفافية لمكافحة الفساد ، وسلطة دولة لامركزية، وتحرير الأعمال التجارية، وتحسين حوكمة الشركات المملوكة للدولة، وتنشيط نظامها المصرفي، كما حققت الدولة

30- Andreas M. Bock, Ingo Henneberg and Friedrich Plank,op.cit.,P5.

31- ANDREW T. WOLFF ,op.cit., P.1103.

أيضاً نمواً اقتصادياً ثابتاً، وعززت بشكل كبير كفاءتها في استخدام الطاقة واستقلاليتها، ونجحت في تطوير وسائل الإعلام الحر والمجتمع المدني النشط ، علماً أن الدستور الأوكراني ينص على السماح بانضمام البلاد للاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي ويحظى بدعم ٨٦٪ و ٧٦٪ من الأوكرانيين على التوالي. ممّا دفع بروسيا الى خيار الاجتياح العسكري لأوكرانيا[٣٣].

ويرى البعض من المُحلّلين إن الرد المتساهل واللامبالي من جانب الغرب على التحركات الروسية العدوانية تجاه ترانسنيستريا، وإيشكيريا، وجورجيا، ودونباس، وشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤، إلى جانب التأخير المستمر في دمج أوكرانيا في الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي – جزئياً لأسباب فنية و أسباب سياسية بحتة - أدى إلى ارتفاع سقف توقعات بوتين بأن محاولته للسيطرة على أوكرانيا ستمر بدون عقاب إلى حد كبير[٣٤].

ثانياً: تطورات الحرب الروسية

مع بدء الاجتياح الروسي لأوكرانيا في شباط ٢٠٢٢، كأول حرب عدوانية شاملة في أوروبا منذ عام ١٩٤٥؛ والذي بدأ بقصف المطارات الاوكرانية بالصواريخ والتوغل العسكري البري من جهة الشرق والجنوب الشرقي؛ شهدت الحرب عدة تطورات على الصعيد الإقليمي والدولي تمثّلت بوصول آلاف المقاتلين الأجانب من الدول الغربية إلى أوكرانيا والذين تطوعوا للمساعدة في الدفاع عنها، كما شهد الموقف الدولي المتمثّل بالولايات المتحدة والدول الأوروبية التزامهما التام بمعارضة فكرة اتخاذ قرار منطقة حظر الطيران الروسي على الأراضي الأوكرانية، لأن تلك المنطقة تعني" القتال – اذ يجب أن تكون على استعداد أن تطلق النار ويُطلق النار عليك" ، كما أكّد الرئيس الأمريكي

٣٢- الجيش الأمريكي: ٥,٤ مليار دولار قيمة المساعدات لأوكرانيا منذ ٢٠١٤، ١٥-٤-٢٠٢٢، متاح على الرابط الآتي: https://gate.ahram.org.eg/News/3485819.aspx

33- Olena Prokopenko," Russia's War in Ukraine and the future of Global Security", International Politik Quarterly , March 31, 2022.

com/en/Russia's-war-Ukraine-and-future-global-security.

34- Olena Prokopenko, op.cit.

(جوزيف بايدن) أن قوات بلاده لن تقاتل في أوكرانيا، وفيما يخص استعدادات حلف الناتو للحرب فقد خطّط لجمع ٣٠ ألف جندي من ٢٥ دولة في النرويج لإجراء تدريبات عسكرية نصف سنوية، وقد تم الإعلان عن التدريبات قبل أكثر من ثمانية أشهر، لكن التدريب اكتسب أهمية أكبر مع اقتراب القتال في أوكرانيا من الحدود البولندية، ويتمركز الآن حوالي عشرة الأف جندي أمريكي - تم نشر نصفهم منذ بدء الغزو - في بولندا، والأعداد مرشحة للازدياد، كما نقلت الولايات المتحدة بطاريتي صواريخ أرض - جو من ألمانيا، كما وافق الرئيس بايدن على إرسال أسلحة ومعدات إضافية إلى أوكرانيا[٣٥]، وتدريب الجنود الأوكرانيين على استخدامها.

وممّا زاد من رغبة الغرب الوقوف الى جانب أوكرانيا ونشر قواتها عند حدودها الغربية الاستعداد لانتشار وشيك لهذا العدوان إلى باقي مناطق أوروبا، ويجب أن تستعد الدول الغربية ليكون دورها التالي فيها. فالتهديدات التي تصدر عن روسيا هي السبب في بعث المخاوف الأمنية لدى دول أوروبا الغربية.

وفي اطار فرض العقوبات الاقتصادية على روسيا، تم فصل روسيا تماماً عن نظام (SWIFT) ، وفرض حظر تجاري على النفط والغاز الروسي كمموّل رئيسي للحرب في أوكرانيا ، كما تم مقاطعة الشركات الأجنبية التي لا تزال تعمل في روسيا ، ومعاقبة البنوك الروسية، لعلّ أهمها (Sber bank و Gazprom bank) وأكثر من ٣٠٠ بنك آخر[٣٦].

وقد تمخض عن الحرب حدوث ارتفاع كبير في أسعار الطاقة العالمي وأسعار القمح ممّا زاد من القلق على تأمين وصول هذه السلع الأساسية للدول المستهلكة، وكشفت الحرب حجم الخلافات الأوروبية منها رفض ألمانيا وايطاليا اخراج روسيا

---

[٣٥] – الكرملين يخطط لعقد اجتماع بين بوتين وزيلينيسكي، ترجمة وتحرير رغد غالي، منشورات المعهد العراقي للحوار، ٢٠٢٢/٣/١٤.

[36]– Olena Prokopenko,op.cit.

من النظام المالي العالمي (Swift) أو فرض عقوبات عليها[٣٧].وتشترط روسيا لإيقاف الحرب كأحد أدوات المساومة، تخلي أوكرانيا عن أيّ خطط للانضمام إلى كيانات عسكرية من بينها حلف شمال الأطلسي (الناتو) والتزام مبدأ الحياد التام، وهو ما تعتبره أوكرانيا "تدخلا في سيادتها" [٣٨].

ومن بين الأسباب التي أعاقت خطط القوات الروسية الخاصة بسرعة انهاء عملياتها العسكرية في أوكرانيا هي، أن الحرب أظهرت قدرات قتالية رائعة وروح معنوية للقوات المسلحة الأوكرانية والتي أجبرت روسيا على تقليص طموحها والتركيز على شرق أوكرانيا [٣٩]، فضلاً عن الدعم غير المحدود لأوكرانيا من قبل الغرب بالأسلحة والمعدات، ممّا صعّب على روسيا الاقتراب من هدف تحقيق النصر وجعل أوكرانيا أكثر قرباً من فرصة ايقاف الحرب، بدون تقديم تنازلات كبيرة لروسيا. كذلك فان الحرب في أوكرانيا أيقظت العالم من مغبة الاعتماد على الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي أو القضاء الدولي في حماية أو الدفاع عن أراضي الدول التي تتعرّض للاحتلال. وهذا يؤكد حقيقة أن الأمن لا يمكن تفسيره الاّ في ضوء النظرية الواقعية.

المحور الثالث: سيناريوهات الأمن في ضوء تطورات الحرب

من خلال استقراء ما يجري من وقائع يمكن توقع ما قد يحصل مستقبلاً من أحداث وتطورات ومسارات مستقبلية مطروحة. اذ جاءت الحرب الروسية على أوكرانيا لتضع أمن أوروبا والعالم من جهة وأمن روسيا من جهة أخرى أمام ثلاثة سيناريوهات رئيسية:

---

[٣٧]– العمليات العسكرية الروسية في أوكرانيا(الأسباب والأهداف والنتائج)، اصدارات مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد ٢٥ شباط ٢٠٢٢،ص٥.

[٣٨]–(الحرب الروسية الاوكرانية) أردوغان يجدد عرضا باستضافة قمة إنهاء حرب بين بوتين وزيلينسكي، ١٧مارس٢٠٢٢. متاح على الرابط الآتي: https://180news.net/ar/news/13114lMp6P

39– Olena Prokopenko,op.cit.

أولاً: السيناريو الأول:- مشهد الاستقرار الأمني بدءاً بوقف الحرب واحياء الأمن في أوروبا.

ينطلق السيناريو أو المشهد من جملة من المقوّمات المُستمدة من الواقع والتي تدعم وجود افتراضه. وعليه يستند المشهد على فرضية مفادها "انّ الوصول لاستقرار أمني مستدام مرهون بهزيمة روسيا عسكرياً واحياء نظام أمني جديد في أوروبا". وقد بدأت أولى الفرص الواقعية الداعمة لتحقق هذا المشهد مع الدعم الأوروبي والأمريكي اللامحدود لأوكرانيا، وإن جاء متأخراً بعض الشيء. اذ يرى (Stephen M. Walt)استاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفرد وواضع "نظرية توازن التهديد" أن الحرب على أوكرانيا أظهرت قدرة أوروبا على امكانية تحمّل مسؤولية أمنها والدفاع عن نفسها بشكل أكبر، وأنّ الأوروبيين آمنوا بأن الحرب واسعة النطاق في قارتهم قد أصبحت مستحيلة بسبب وجود القيم أو القواعد ضد الغزو والمؤسسات الدولية والاعتماد الاقتصادي المتبادل، بالإضافة الى الضمانات الأمنية الأمريكية، وممّا ساعد أوروبا على مواجهة الغزو الروسي لأوكرانيا القصور والأخطاء العسكرية المستمرة التي وقعت بها روسيا رُغم التخطيط والاعداد الجيد للحرب على مدى شهور، وهذا يُدلّل على أن روسيا ليست قوية بما يكفي لاستعادة حلمها الامبراطوري السابق وسوف تستمر قوتها بالتراجع، وستكون أقل قوة في المستقبل مع اعادة التسلح في أوروبا، ويُسهم في ذلك العقوبات الاقتصادية والمالية والتقنية الأمريكية والأوروبية السارية حالياً (كلفة الحرب على روسيا ستكون غالية ومرتفعة) والتي سوف تعيق حركة الاقتصاد الروسي لسنوات قادمة والتي تم ذكرها سابقاً، كما أنّ أوروبا يمكنها التعامل بمفردها مع التهديد الروسي المستقبلي، لطالما كان لدى أعضاء الناتو الأوروبيين إمكانات قوة كامنة أكبر بكثير من التهديد الذي يواجه شرقهم: فهؤلاء الأعضاء معاً يملكون ما يقرب من أربعة أضعاف عدد سكان روسيا وأكثر من ١٠ أضعاف ناتجها المحلي الإجمالي(٤٠).

40 –Stephen M. Walt, Hand European Security Over to the Europeans, March 21,2022, in U.S. Grand Strategy After Ukraine.
https://foreignpolicy.com/2022/03/21/us-geopolitics-security-strategy-war-russia-ukraine-china-indo-pacific-europe

وفي الاسبوع العاشر من الحرب أعلنت قيادة القوات الجوية الأوكرانية الجنوبية الحصول على منظومة دفاع جوي من طراز "إس-٣٠٠ (S-300) "من إحدى الدول الصديقة من دون الكشف عنها[٤١].وهذا يُعد تطوّر كبير على صعيد الدعم الأوروبي لأوكرانيا رغم التحذيرات والتهديدات الروسية بمعاقبة ومحاسبة الدول التي تقدم لها يد المساعدة. ممّا يُدلّل ذلك على عدم استجابة أوروبا للتهديدات الروسية باستهداف الدول المؤيدة والمساندة لأوكرانيا.

ومن الفرص الداعمة الأخرى لإيقاف الحرب واحياء الأمن هو تعهّد الولايات المتحدة بوضع قوة أمن جديدة ودائمة مسؤولة عن الأمن في أوروبا بشطريها الغربي والشرقي، وما صاحبه من زيادة في الإنفاق الدفاعي لضمان أمن أوروبا بشكل خاص، وهذا ما سعت له ألمانيا منذ الساعات الأولى للغزو، وهذا يستدعي من أميركا أن ينصب اهتمامها مجدداً نحو الجبهة الأوروبية لمواجهة محاولة روسيا إعادة إنشاء مجال نفوذ باستخدام القوة المفرطة، وحينذاك قد تُصبح الولايات المتحدة أمام خيار واحد هو مواجهتها بالقوة، وحتى أوروبا فبعد أن نأت بنفسها بشكل ملحوظ عن الولايات المتحدة في السنوات السابقة اكتشفت مجدداً أن قوة الولايات المتحدة لا غنى عنها للدفاع عن أراضيها في حال وقوع هجوم عليها سواء من داخل القارة الأوروبية أو من خارجها[٤٢].

وفي أعقاب الحرب الدائرة على الأراضي الأوكرانية سيتم تنفيذ آليات التمدد المؤسساتي الأمني والاقتصادي في أوروبا بقصد حماية الدول الأوروبية من أخطار روسية ولتفادي أية معضلة أمنية مستقبلاً قد تفتح الباب لحرب جديدة، ففي لقاء صحفي مع المفكر الأمريكي(John J. Mearsheimer) في تعليق له على مستقبل الأمن بعد الحرب في أوكرانيا قال أن" التوسع سيشمل أيضاً توسيع الاتحاد

41- https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/4/29

42- Toshihiro Nakayama, Toshihiro Nakayama, Maintain the Strategic Focus on China, in U.S. Grand Strategy After Ukraine.
https://foreignpolicy.com/2022/03/21/us-geopolitics-security-strategy-war-russia-ukraine-china-indo-pacific-europe

الأوروبـــي الى جانب الناتو، ويتضمـن ذلـك أيضـاً تحويـل أوكرانيـا إلـى ديمقراطيـة ليبراليـة مواليـة لأمريـكا"[٤٣].

وان سيناريو إحياء الأمن بدءاً بوقف الحرب واعلان النصر على روسيا قد يصطدم ببعض المعوقات التي تحول دون تحقيق أمن مستدام تتمثّل بإصرار الدول الغربية على عضوية أوكرانيا المستقبلية المحتملة في الناتو أو الاتحاد الأوروبي في اطار ما يُعرف "بالتمدد المؤسساتي"، ويمكن أن يقود ذلك إلى تصعيد أمني خطير في العلاقة الصراعية بين أوروبا وأعضاء حلف شمال الأطلسي من جهة وروسيا من جهة أخرى قد ينتج عنه نشوب أكبر صراع عسكري منذ الحرب العالمية الثانية وقد يتطور الوضع لتنشب حرب نووية [٤٤].ولكن ذلك أمر مستبعد حدوثه لأن الحرب النووية تُشكّل خطراً وجودياً على روسيا كما هي حال الدول الأوروبية.

ثانياً: السيناريو الثاني:- مشهد ضعف الأمن (حالة تراجع الأمن) مع استمرار الحرب على أوكرانيا.

يستند المشهد على فرضية مفادها " أنه في حال استمرار الحرب على أوكرانيا لفترة أطول فإن الأمن سوف يضعف ويؤثر على كل أوروبا". وتظهر الفرص الداعمة لتحقق هذا المشهد بوضوح من خلال استمرار روسيا في الاعتقاد أو الادّعاء بأن أوكرانيـا تُمثّل تهديـداً وجوديـاً لهـا؛ كونها متحالفـة مـع الولايـات المتحـدة وحلفائهـا فـي أوروبـا الغربيـة الذين يُقدّمون لها المساعدات العسكرية والمعونات الاقتصادية لإدامة سير المعارك على أراضيها، وأن الدول الغربية – من وجهة نظر روسيا- متورطة مع أوكرانيا في التسبب بإطالة أمد الحرب ومنعها من إنهاء الحرب خدمة لمصالحها، وإن القناعة الروسية بتلك الحجة هي السبب في ضعف الأمن واستمرار الحرب وحدوث قدر هائل من الضرر لأوكرانيا،وبحسب وجهة

---

[٤٣]– اسحاق شوتنير، أوكرانيا ذنب الغرب، مقابلة مع المفكر الأمريكي جون ميرشايمر، منشورات المعهد العراقي للحوار ، ٢٠٢٢/٣/١.

44- LEV TOPOR , Opinion – Strategic Perspectives on the Russia-Ukraine War MAR 6 2022, p. 2.

https://www.e-ir.info/2022/03/06/opinion-strategic-perspectives-on-te-russia-ukraine-/war

نظر(John J. Mearsheimer) لو لم يكن هناك قرار أمريكي بتحريك قوات الناتو شرقاً قرب حدود أوكرانيا، فستكون كل من شبه جزيرة القرم وإقليم الدونباس جزءاً من أراضي أوكرانيا اليوم، ولما كانت هناك حرب في أوكرانيا [٤٥].

ومن الفرص الداعمة الأخرى لاستمرار الحرب وضعف الأمن أن قادة دول أوروبا الغربية منذ انتهاء الحرب الباردة لم يُظهروا اهتماماً عسكرياً وأمنياً بشؤون أمن بلادهم، اذ كانت القارة تُرعى مصالحها الأمنية من قبل حلف الناتو تقوده الولايات المتحدة، فالسلوك العدواني الذي انتهجه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بإعلانه الحرب على أوكرانيا عام ٢٠٢٢ كشف عن تصدعات عميقة وضعف حالة النظام الأمني الأوروبي[٤٦].كذلك، رفض روسيا بناء منظومة أمنية أوروبية تقف عند حدودها الغربية، وهذا ما جاء على لسان وزير خارجيتها(سيرجي لافروف) في حديث له بعد مضي شهرين على الحرب "إنه لا يمكن لأحد أن يقوم بتعزيز أمنه على حساب أمن الأخرى" [٤٧]. والمقصود هنا بلاده.

الاّ أن صحة سيناريو ضعف الأمن واستمرار الحرب قد لا يستمر طويلاً بالنظر لتغير مفهوم الأمن عند بعض دول أوروبا التي كانت قد اختارت حالة الحياد في وقت مضى كقرار سياسي مثل فنلندا والسويد، اذ أصبح قرار انضمامهما إلى حلف الناتو مسألة وقت ليرتفع عدد الدول المنضمة للناتو الى ٣٢ دولة، اذ يُتوقع انضمامهما للحلف في صيف ٢٠٢٢، ممّا يزيد من فرص تقوية جدار الأمن لدى أوروبا الغربية في مواجهة التهديدات الروسية للأمن الأوروبي. فضلاً عن الزيادة الهائلة في الانفاق العسكري كالتي قامت به ألمانيا، بجانب المزيد من توظيف

---

[٤٥] – اسحاق شوتنير، المصدر السابق.

[٤٦]– رامز الشيشي، أثر الحرب الروسية الأوكرانية على مستقبل الأمن الأوروبي، ٢٩ مارس ٢٠٢٢. متاح على الرابط الآتي:
https://annasher.com/?p=6406

47-
https://www.masrawy.com/news/news_publicaffairs/details/2022/4/27/2216068

الموارد لحماية البنية الأمنية الأوروبية التي كانت مدعومة بشكل مرن بالقوة الهائلة للولايات المتحدة [٤٨].

ثالثاً: السيناريو الثالث: مشهد فقدان أو غياب الأمن واندلاع حرب عالمية ثالثة

ان سيناريو ضياع الأمن أو فقدانه باندلاع حرب نووية هو أمر غير واقعي ومستبعد حدوثه، في ظل الإصرار الروسي على مواصلة الحرب حتى الوصول لأهدافها يقابله الإصرار الغربي على معاقبة روسيا واستنزافها ورفع تكلفة الحرب عليها إلى أقصى حد واستمرار تزويد أوكرانيا بالسلاح. اذ لم تشهد أوروبا بما فيها روسيا أو الولايات المتحدة اتخاذ قرار أو مناقشته بتحريك أو وضع الصواريخ النووية في حالة التهيؤ استعداداً لمجابهة نووية متوقعة الحدوث، فكل التصريحات الروسية تدور في اطار التهديدات غير القابلة للتصديق بشن ضربة نووية لأوكرانيا أو للدول الداعمة لها. وممّا يعيق فرص تحقّق هذا السيناريو أن الحلف العسكري الغربي (الناتو) قد رفض بشكل مستمر التدخل المباشر في الحرب الروسية على أوكرانيا، لأن القيام بذلك سيؤدي على الأرجح إلى وضع أوروبا أمام صراع مباشر مع روسيا ، والتي حذرت من جانبها من أن أي دولة تتدخل فيما تسميه "عملية عسكرية خاصة " في أوكرانيا سوف تواجه بعواقب لا توصف – في اشارة غير مباشرة بتوجيه ضربة نووية- هذا من جانب، ومن جانب أخر فأن الدول الواقعة على الطرف الشرقي للاتحاد الأوروبي والناتو مثل بولندا ورومانيا ودول البلطيق، والتي شهدت جميعها انتشاراً قوياً للناتو في الأسابيع الأولى من الحرب، تشعر بقلق شديد من احتمال امتداد الصراع إلى أراضيها، وفيما لو انتصرت روسيا في أوكرانيا فان "الستار الحديدي" سيعاود الظهور يُخيّم على أوروبا الشرقية [٤٩]. كما أن سيناريو فقدان الأمن واندلاع حرب نووية قد يصطدم بعائق هو أكثر واقعية منه مُتمثّل بقرار وقف الحرب، وهو الأرجح لضمان أمن عالمي، فقد يفاجئ طرفي الحرب العالم ويبديان استعدادهما للتفاوض الجدي والحقيقي كبديل عن المفاوضات

---

[٤٨] – رامز الشيشي، المصدر السابق.

[49] - Holly Ellyatt, How will Russia’s war with Ukraine end? Here are 5 possible outcomes, MAR 8 2022.

https://www.cnbc.com/2022/03/08/how-will-russias-war-with-ukraine-end-here-are-5-possible-outcomes.html

التي كانت تجري برعاية تركية أو بيلاروسية بهدف تحقيق أمن مستدام ودون فرض شروط مسبقة من الجانبين. اذ بالإمكان حل أزمة أوكرانيا دبلوماسياً كما حُلّت أزمة برلين ١٩٦١ وأزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢ خلال الحرب الباردة، ولكن في ظل وجود بوتين على هرم السلطة في روسيا، وكل الانفاق العسكري والخسائر العسكرية التي تتكبّدها القوات الروسية بمعاركها في أوكرانيا، وتراجع الثقة أوروبياً بمكانة روسيا واسهامها في حفظ الأمن على المستويين الاقليمي والدولي، ورفض الولايات المتحدة سحب الأسلحة النووية التكتيكية الأمريكية من أوروبا وتركيا واعادتها الى أراضيها بهدف انهاء المخاوف الأمنية الروسية، يصعب معه الحديث عن مفاوضات دبلوماسية بين الجانبين.

ومن خلال استعراض المشاهد المستقبلية الثلاثة فإن الباحث يرجح حدوث السيناريو الأول - مشهد الاستقرار الامني وايقاف الحرب واحياء الامن- ، كونه أكثر قرباً للتحقق على أرض الواقع ، وما يُعزّز حدوث مشهد احياء الأمن العديد من الوقائع والمعطيات ومنها استمرار الدعم الأوروبي والأمريكي المستمر لأوكرانيا، سيما وأن الحرب على أوكرانيا أظهرت قدرة أوروبا على إمكانية تحمّل مسؤولية أمنها والدفاع عن نفسها بشكل أكبر، وأنّ الأوروبيين آمنوا بأن الحرب واسعة النطاق في قارتهم قد أصبحت مستحيلة بسبب وجود القيم أو القواعد ضد الغزو والمؤسسات الدولية والاعتماد الاقتصادي المتبادل، بالإضافة الى الضمانات الأمنية الأمريكية. وممّا ساعد أوروبا على مواجهة الغزو الروسي لأوكرانيا القصور والأخطاء العسكرية المستمرة التي وقعت بها روسيا رُغم التخطيط والاعداد الجيد للحرب على مدى شهور، وهذا يُدلّل على أن روسيا ليست قوية بما يكفي لاستعادة حلمها الامبراطوري السابق وسوف تستمر قوتها بالتراجع، وستكون أقل قوة في المستقبل مع اعادة التسلح في أوروبا، ويُسهم في ذلك العقوبات الاقتصادية والمالية والتقنية الأمريكية والأوروبية السارية حالياً (كلفة الحرب على روسيا ستكون غالية ومرتفعة) والتي سوف تعيق حركة الاقتصاد الروسي.

ومن الفرص الداعمة الأخرى لإيقاف الحرب واحياء الأمن هو تعهّد الولايات المتحدة بوضع قوة أمن جديدة ودائمة مسؤولة عن الأمن في أوروبا بشطريها الغربي والشرقي، وما صاحبه من زيادة في الإنفاق الدفاعي لضمان أمن أوروبا بشكل خاص، وهذا ما سعت له ألمانيا منذ الساعات الأولى للغزو، وهذا يستدعي من أميركا أن ينصب اهتمامها مجدداً نحو الجبهة الأوروبية لمواجهة محاولة روسيا

إعادة إنشاء مجال نفوذ باستخدام القوة المفرطة، ومما يُعزّز تحقيق هذا المشهد أيضاً اتخاذ الدول الأوروبية حزمة من الاجراءات والتدابير استجابة للأزمة الأوكرانية التي شملت الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري لأوكرانيا، فضلاً عن زيادة تعاون الأعضاء الأوربيين من خارج حدود حلف شمال الاطلسي لتحقيق الأمن، وممّا يُعزز تحقيق هذا المشهد ظهور بوادر لتحرك غربي لعقد قمة دولية لإعادة التفاوض بشأن الأمن في أوروبا وأوكرانيا ، سيما أن الدول الأوروبية والولايات المتحدة تسعيان الى جعل أوكرانيا دولة محايدة بين الشرق والغرب يحافظوا عليها أمنياً ويُعزّزوا من مكانتها السياسية والاقتصادية والتكنلوجية، وكل ذلك يدعم ويعزز مشهد ايقاف الحرب واحياء الأمن الأوروبي وتعزيز الشراكات والتحالفات الأمنية، وهذا ما يُعزّز الفرضية التي تبنّاها البحث بأن التهديد الأمني يعمل على تحفيز التحالفات الأمنية والاقتصادية في ميدان العلاقات الدولية ويُعزّز ما يُعرف بنظرية "توازن التهديد".

الخاتمة:

ازداد الاهتمام بدراسة الأمن ومستقبله وأصبح يتصّدر أولوية الاهتمامات لدى القادة السياسيين وصناع القرار بفعل الاجتياح الروسي لأوكرانيا في شباط ٢٠٢٢وما رافقه من تهديدات جديّة للأمن الأوروبي والعالمي. اذ تُمثل الحرب هذه نقطة تحول خطيرة وتهديد محتمل للبيئة الأمنية الاقليمية والأوروبية ولجميع أنحاء العالم، كما أعاد للأذهان نمطية الصراع الذي كان دائراً فترة الحرب الباردة بين القوتين العظميين وكانت احدى ساحاتها القارة الأوروبية ومالها من تأثيرات سلبية على باقي مناطق العالم في جانبها الأمني والسياسي. وهكذا توعّد صناع السياسة الغربيون نظام حكم بوتين منذ الاجتياح العسكري برد قوي، كما تعهد حلف شمال الأطلسي بزيادة الإنفاق العسكري للحلفاء، وتحسين قدراتهم الدفاعية ، وتعزيز قوة الناتو. كما اصطفت الدول الأوروبية وراء سياسة الاحتواء لنظام بوتين، وتم تكثيف التصريحات الرسمية وتعبئة الرأي العام العالمي والمؤسسات الدولية لمواجهة روسيا، وبهدف اعادة التذكير على الدوام بأهمية الأمن واتخاذ كل الإجراءات اللازمة لصيانته وحفظه. ومن منطق "الواقعية" التي تحلّت بها الحرب الروسية على دولة جارة أصغر منها بكثير فقد تفوقت الواقعية على التفسيرات الليبرالية للأمن في ظل غياب "حكومة عالمية لحماية الدول من بعضها البعض.

وفي نظرة مستقبلية للأمن بشكل عام يتوجب منع الصراع العسكري المباشر وغير المباشر بين روسيا والناتو، وديمومة التعاون الأمني والاقتصادي في مجلات الطاقة بين دول الاتحاد الأوروبي وروسيا، ووقف أي تمدد إضافي من قبل الناتو بضم أعضاء جدد في فضاء روسيا الاقليمي، كما يتوجب على الدول الأوروبية والولايات المتحدة التراجع عن خيار العقوبات الاقتصادية واسعة المدى والمفروضة على روسيا، وتضع في اعتبارها أن التخلي عنها سيكون مفيداً لاقتصاد الاتحاد الأوروبي وروسيا والعالم، كما يتعيّن على روسيا بوتين وروسيا ما بعد بوتين أن تتفهّم بأنّ سياساتها العدوانية هذه ضد أوكرانيا إذا ما استمرت فهي تُشكّل خطراً حقيقياً ليس على الأمن الأوروبي بشرقه وغربه وحده بل على الأمن العالمي عموماً.